مَوْسُوعَةُ
فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ التِّينِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة التين

أ. د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة التين

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ ٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ٧ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٨ ﴾

ابتدأت سورة التين بالقسم من الله تعالى بمخلوقاته من الثمار، والأمكنة المقدسة التي قدسها الله تعالى. فقال تبارك وتعالى ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴾ يُقسم الله تعالى بثمرتين كريمتين: التين والزيتون. وهما الشجرتان المعروفتان والمشهورتان. قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وغيرهم: هو تِينُكم الذي تأكلون، وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت[1] وقد ذكر الله تعالى شجرة الزيتون في سورة المؤمنون. فقال الله تعالى ﴿ وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ مما يبين منزلة هاتين الشجرتين، والدلالة على عظيم فائدتيهما. وفيه لفت الانتباه إلى ثمرتين مشهورتين ومعروفتين، ومحبوبتين عند الناس، وما تميزت كل واحدة به عن الأخرى، فالتين يقبل التجفيف، ويطول استخدامه طعاماً شهياً، والزيتون ما يكون من أكله، ومن يكون من عصر الزيت الذي يخرج منه، والذي يستخدم في الطعام وفي العلاج. مما يدل على عظيم الاختيار لنعمتين من أفضل الثمار، للإيماء والإشارة إلى عظيم الإنعام على الإنسان بما خلق له، حتى يستوفي به حاجاته، والإيماء إلى عظيم خلقه وتدبيره، سبحانه وتعالى. فإن ربكم هو الرحمن الرحيم، الذي أنعم عليكم بما أنعم من الإنعام العظيم الذي يستوجب من عباده أن يشكروه ويوحدوه ويخلصوا له العبادة والطاعة والامتثال لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم أقسم اللهُ تبارك وتعالى بعد ذلك بجبل الطور. فقال عَزَّ وجل ﴿ وَطُورِ سِينِينَ ﴾ وهو جبل الطور الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه الصلاة والسلام. وفي هذا تنويه بهذا المكان الذي يحكي طرفاً من قصة موسى وقومه من بني إسرائيل. وتكليم الله تعالى له، فأصبح جبلاً مقدساً لقدسية الحدث الذي صار فيه، وهو تكليم الله تعالى لموسى عليه السلام مباشرة. وعن عكرمة رحمه الله تعالى عن معنى ﴿ وَطُورِ ﴾ قال هو:

([1]) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/٧٥)

الحسن. وهي بلغة الحبشة، يقولون للشيء الحسن: سيناً، سيناً[١] وقيل: المبارك. وقيل: إنه اسم للشجر الذي حوله[٢] فعلى أي المعاني فهو تعريف له.

قال السعدي رحمه الله تعالى: أقسم الله تعالى بهاتين الشجرتين، لكثرة منافع شجرهما، وثمرهما، ولأن سلطانهما في أرض الشام، حيث محل نبوة عيسى ابن مريم عليه السلام. وطور سيناء محل نبوة موسى عليه الصلاة والسلام. ثم أقسم تبارك وتعالى بمكة ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ وهي مكة المكرمة، محل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم[٣] وبالتالي فقد أشار الله تعالى إلى أشهر أمكنة الأديان. قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: وابتدأ السورة بالقسم بما يشمل مهابط أشهر الأديان الإلهية، براعة استهلال لغرض السورة، وهو أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم [٤]كما فيه إشارة وتنويه لتتابع الرسل، والذي خاتمتهم محمد صلى الله عليه وسلم. مما يديل على عظيم المقصد، ودقته في اختيار المقسوم به، والمقسوم عليه. بل ويدل على عظيم الإعجاز البياني العظيم، الذي يشهد بأن القرآن العظيم كلام معجز، وأن آياته حجج وبراهين من الله تعالى إلى يوم القيامة.

وقد سَمَّى الله تعالى مكة بصفة الأمن والأمان، فقال عَزَّ وجل ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ لبيان وإظهار عظيم قدرته وجلال سلطانه بجعله مكة المكرمة بلداً آمنا، بل ويُؤتى وتُجبى إليها الثمرات من كل مكان، ليكون ذلك دلالة على عظيم تقديره وتدبيره سبحانه وتعالى. كما قال عَزَّ وجل في سورة القصص ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فقد جعل الله تعالى مكة بقوة سلطانه بلداً آمناً. وترسخت وحرمتها عند العرب جميعاً، وإظهار ذلك بما حصل لأبرهة الحبشي عندما أراد هدم الكعبة، فرماه الله تعالى بالطير الأبابيل التي تحمل الحجارة فتقذفه وجنوده بها، كما في سورة الفيل. وخصها عَزَّ وجل بالأمن من كل وجه، ومن ذلك الأمن الغذائي، فَتُجمَع وتُجلب إليها جميع أواع الثمار، كثرة وتنوعاً. وليفيد الإنعام والتخصيص لأهلها به.

ومن دقائق البيان الكريم هو التنويه عنها باسم الإشارة ﴿ وَهَٰذَا ﴾ لإفادة التعظيم والتبجيل لمكة حرسها الله تعالى وأهلها. ثم التبجيل لها بالاستغناء عن وصفها باسمها إلى ما اشتهرت به من الأمن بقدرة الله

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٥٠٦/٢٤)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٧٥/٨)

(٣) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٤٣٣/٥)

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير (٧٢٦/١٢)

تعالى وقوة سلطانه وحكمته ﴿ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴾ للدلالة على أنها المخصوصة والمشهورة بالبلد الأمين. التي عظمها ربها تبارك وتعالى من بين جميع أقطار الدنيا. ولله تعالى أن يُعَظِّم ما يشاء، وليس للمخلوق أن يُقدِّس شيئاً من عنده أبداً، وإنما أمر التقديس عائد لله عَزَّ في علاه.

ثم بعد هذا القسم العظيم الذي استثار الْمُخَاطَبين نحو التشوف إلى جواب القسم الذي قال الله تعالى عنه ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ لقد خلقنا وأنشأنا وأوجدنا هذا الإنسان في أحسن هيئة وصورة وتكوين. فقد عَظَّم الله تعالى خلقه لهذا الإنسان بحرف التحقيق والتأكيد المسبوق بلام القسم وبما أقسم به من التين والزيتون وجبل الطور ومكة المكرمة، فاستهل به الآية الكريمة، حيث قال تعالى ﴿ لَقَدۡ ﴾ ثم ذكر جَلَّ جلاله الخلق والإنشاء لهذا الإنسان ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ﴾ لقد تحقق إنشاءنا وابدعنا واختراعنا هذا ﴿ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴾ من العدم، على غير سابق مثال له.

ثم يبين اللهُ تبارك وتعالى هيئة ومكونات هذا الإنسان من خلال دلالتين عظيمتين: ﴿ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ فقد خلقنا هذا الإنسان في أحسن ما تكون الخلقة. فأفادت الدلالة الأولى: الْحُسن ﴿ فِيٓ أَحۡسَنِ ﴾ والتي أعطت معنى الخيرية والأفضلية التي ليس بعدها أفضل منها في الْحُسن. ثم حدد تبارك وتعالى هذه الخيرية من الحسن في دلالة ومعنى التقويم، فقال جَلَّ جلاله ﴿ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾ أي: في أحسن اعتدال وتسوية، لتشمل انتصاب قوامه في وقوفه وجلوسه، وعند تحركه، وفي صورته، وطوله، وعرضه، وهيئته، وجماله، وحواسه من السمع والبصر، والنطق، والبيان، والتعبير، والعقل والعواطف، من الحب والكره، وغيرها من مفرداتها وتفاصيلها. وكذلك ألهمه الفجور والتقوى، فقال تعالى في سورة الشمس ﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ ﴾ فعرفها وأفهمها ما يجعلها تدرك الخطأ من الصواب، والحق من الباطل، حتى تتحمل مسؤولية ما يكون منها. فعليه أن يتحمل مسؤولية اختياره.

وكذلك قوله تعالى في سورة الإنسان ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ فإنا قد أظهرنا له بالبيان الواضح طريق الهدى، بالأدلة الكونية التي تحيط به، فينعم ويتفيأ فيها وبينها، من السماء والأرض والجبال، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغيرها مما يحسه ويراه ويسمعه، وبما جاء من الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب. وكذلك دلالة ﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ التي تشمل ما فطره الله تعالى عليه، وهداه إليه، إضافة إلى ما ورد في سورة الروم ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا ﴾ فإن الإنسان مفطور

على فطرة الله تعالى، التي هي الإسلام. فمعنى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ أي: الإسلام. قال مجاهد رحمه الله تعالى: الإسلام[١] والتي يبينها قوله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يُولد على الفطرة)[٢] أي: على الإسلام. بما يفيد ويبين أن الإنسان قد ولد، وهو مفطور على الإسلام، دون تفاصيله، فقلبه وميوله لمنهج هذا الدين، فيجد في أوامره ونواهيه وتشريعه ما يطمئن إليه قلبه. ولذلك ورد في تكملة الحديث تأثير غيره عليه (فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه) بما يبين أن تأثير غيره عليه هو أمر حادث طارئ مخالف لِمَا فُطر عليه المولد، من تأثير الوالدين، وممن يحيطون به، ويتعايش معهم. فإذا عرف الإسلام أقبل عليه ما لم يكن هواه وشهواته سيطرت عليه، فلا يريد مفارقتها إلى ما يدرك أنه الحق في قرارة نفسه.

كما أن من دلالات قوله تعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أن جعل عنده القدرة على التفكير، والقدرة على الاختيار، والتفضيل، وفهم التفاضل، والتكامل، ومعرفة العلل والتعليل، والأسباب، والقدرة على الابتكار، والتحليل، والاستنتاج والاستنباط، والتعلم والتعليم، والتطوير. فكان في أحسن ما يكون هذا الإنسان. فأصبح من واجبه أن يشكر ربه تبارك وتعالى الذي خلقه في أحسن تقويم، وأن يُوحِّد ربه جَلَّ جلاله، ويطيعه، ويمتثل لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاءه بالحجج والآيات. فلو تفكر وتأمل الإنسان في نفسه، لأذعن لربه، ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولكتابه القرآن العظيم. مما يبين أن مَن لم يؤمن فقد كفر، وجحد نعمة ربه عليه.

وبالتالي فإن عليه أن يتحمل مسؤولية اختياره، كما قال تعالى في سورة التكوير ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فجعل الله تبارك وتعالى بحكمته للإنسان مشيئة من الاختيار، وأوضح لهم طريق الخير وطريق الشر، وهذه المشيئة تحت مشيئة الله تعالى، فلا يعني ذلك أن الإنسان منفرد بها، بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذي منحها للإنسان بمشيئته، ويمنعها بمشيئته. فيصحح ويعلم سبحانه وتعالى مفاهيم عباده، حتى يعلموا ما يكون منهم، وما يجب عليهم، وأن ذلك لا يعني أنهم خارجين عن مشيئته. كما يصحح أفهام من حاد فهمه عن الصواب. وهذا من عظيم التدبير والحكمة والعدل من الله العزيز الحكيم.

ثم يخبر الله تبارك وتعالى بمآل ونهاية مراحل عمر الإنسان التي لا ينكرها عاقل. فقال عَزَّ وجل ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ثم بعد أن خلقنا هذا الإنسان، ومنحناه الحياة في الدنيا صَيرناه وأعدناه إلى أرذل

---

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤٩٣/١٨)

(٢) البخاري، الجامع الصحيح (٤٢٤/١) برقم (١٣٨٥)

مراحل العمر، فجعلناه في أسفل وأدنى أطوار حياته، وهي: حالة الهرم من العمر. وتشمل دلالتها كذلك بأننا صيرناه وأعدناه إلى أسفل درجات العذاب. فقد ذكر أهل التفسير الوجهين معاً. فقال ابن عباس رضي الله عنهما، وعكرمة، وقتادة وغيرهم: إلى أرذل العمر، والهرم. وقال مجاهد، وقتادة، وابن زيد: إلى النار. ورجح ابن جرير الطبري رحمهم الله تعالى: القول: بأنه إلى أرذل العمر[١] فباعتبار مراحل العمر يكون المقصود به الرجوع إلى أرذل العمر، وأضعفها وهو الهرم، وأما باعتبار ما بعده من الاستثناء يكون المقصود بها النار للكافر. حيث استثنى سبحانه وتعالى ممن يَرُدُّهم إلى أسفل سافلين أهل الإيمان والصلاح. فقال الله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴾ فإن عبادي الذين آمنوا وعملوا بطاعة ربهم سبحانه وتعالى، فليس شأنهم العودة إلى أسفل سافلين، بل لهم أجر غير مقطوع، ولا يخالطه ما يكرهون أبداً.

فقد دَلَّ وأفاد الاستثناء ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ المغايرة لمن هم في أسفل سافلين، مما أفاد أن معنى ﴿ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ هو أشد عذاب النار لأهل الكفر. وموقع الآية الكريمة جعل أهل التفسير يأخذون بهذين التأويلين. مما يدل على براعة السياق الذي جعل تراكيب البيان يحقق معنيين متحققين، وغير متضادين، وببيان واحد، ليظهر الإعجاز البياني في تراكيب الكلام. وهو غاية في الإعجاز البياني. كما أفاد الاستثناء على اعتبار أن أسفل سافلين هي مرحلة أرذل العمر أنهم لا يُرَدُّون إلى أرذل العمر. قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: وللمفسرين في معنى الاستثناء ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ قولان: أحدهما: إلا الذين آمنوا لا يُرَدُّون إلى الخرف، وإن عمروا طويلاً. وهذا على القول الأول. قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قرأ القرآن لم يُرَدَّ إلى أرذل العمر. والقول الثاني: إلا الذين آمنوا فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار[٢] مما يبين فضل الإسلام على المسلم في جميع أحواله.

ومن الفوائد البيانية في أن جعل اللهُ تبارك وتعالى الأصل هو أسفل سافلين ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ باعتبار أن أكثر جنس هذا الإنسان هم على ملة الكفر، وجعل الاستثناء للمؤمنين ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ وهذا في حد ذاته آية عظيمة، حيث أثبتت أن أهل الكفر هم الأكثر إلى أن تقوم الساعة. وأن مصيرهم إلى النار.

---

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٥١٣-٥١٦)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٨/٢٧٧)

كما أفاد قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أن هناك شرطان لتحصيل ذلك الفوز الكبير: الشرط الأول: الإيمان ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ أي: صَدَّقُوا بقلوبهم، فآمنوا بجميع موجبات الإيمان وحقائقه، من غير استثناء. فآمنوا بالله تعالى، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وبالقرآن، وبيوم القيامة، والبعث، والحساب، والجزاء، والجنة والنار، وبجميع كتبه ورسله، وكل ما هو متعلق بالإيمان. وأما الشرط الثاني: فهو ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ التي هي الطاعة لله تعالى. وهي: الأعمال التي أمر الله تعالى بها، لأن جميع ما أمر الله تعالى به هو من الصالحات، لتستوفي صفة الصلاح جميع شرعه، وما فيه من الأوامر والنواهي. وفي هذا تقرير بأن منهج الله تعالى قد انتفى منه وعنه الباطل من كل وجه، وثبت صلاح ما فيه للفرد والمجتمع، في الدنيا وفي الآخرة، فإن قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ قد جمعت كل الصلاح. وهي غاية في كمال دلالتها، وبلاغة مضمونها، وجزالة ألفاظها.

وقد أفاد قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ العلاقة الترابطية والمتلازمة بين الإيمان وبين العمل بالطاعة لله تعالى وفق ما شرع. فالذين آمنوا بتصديقهم بالله تعالى وبرسوله وبما قررته شريعة الله تعالى، وعملوا الصالحات التي هي القيام بما أوجب الله تعالى من العبادات الشاملة لجميع ما أمر الله تعالى به من الفرائض وغيرها من السنن والمستحبات. فإنه بذلك يتعاضد الإيمان مع عمل الصالحات، فيشتركان في الطاعة والامتثال بهما. وسمَّى اللهُ سبحانه وتعالى أعمال دينه بالصالحات، لأن جميع الأعمال التي أمر الله تعالى بها قد اتصفت بتحقيق الصلاح والإصلاح في النفس، ومع الله تعالى، ومع الغير. وتستوفي جميع أوامره عَزَّ وجل، وفي هذا تقرير بأن منهج الله تعالى قد انتفى منه وعنه الباطل، وثبت صلاح ما فيه للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة، فهي جملة غاية في كمال دلالتها، وبلاغة مضمونها، وجزالة ألفاظها، فثلاث كلمات ﴿ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ حوت منهج الله تعالى بكامله. وهذا البيان يستحث المؤمنين على لزوم الطاعة، والمسارعة إلى كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه. وهو فضل عظيم من الله سبحانه وتعالى لأهل طاعته. كما يستحث الكفار على المسابقة إلى الدخول في الإسلام، والامتثال لدين الله تعالى، الذي أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم وصف الله تعالى هذا الإنعام، وهذه المكافأة العظيمة لعباده الذين آمنوا وعملوا إصلاحات بأنها متعاظمة من غير انقطاع. فقال تعالى ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أجر غير مقطوع، وغير منقوص، وبغير حساب. ولا يخالطه ما يكرهونه أبداً. قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى: إلا الذين آمنوا في وقت القوة والقدرة، فإنهم في حال الكبر، غير منقوصين، وإن عجزوا عن الطاعات، لأن الله عَزَّ وجل يعلم أنه لو لم يسلبهم القوة لم

ينقطعوا عن أفعال الخير، فهو يجري لهم أجر ذلك، والمعنى الثاني: إلا الذين آمنوا فإنهم لا يُرَدُّون إلى النار[١] بل يحصلون على أجر غير مقطوع، وغير منقوص، وبغير حساب. ولا يخالطه ما يكرهونه أبداً.

ثم بعد بيان الله تعالى للحجج والبراهين للعباد بهذه السورة الكريمة المباركة التي تستوجب منهم الإيمان، يقررهم بما يجب عليهم، وبأن إنكار من كفر فإنه على باطل واضح من التحدي والتعدي والعناد والاستكبار، وأنه ليس على جهل. فقال الله عَزَّ وجل ﴿ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴾ فما الذي يجعلك تكذب بدين الله تعالى بعد هذا البيان التفصيلي العميق يا أيها الكافر الجاحد؟ سؤال استنكار على كل من أنكر الحق بهذه الدلائل العظيمة التي تناولتها سورة التين.

ثم يزداد الإنكار والتوبيخ للكافرين بتقريره عَزَّ وجل أنه هو ربكم المتصف بعدله في حكمه. فقال عَزَّ وجل ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ أليس ربكم هو أحكم الحاكين بعدله، فلا يظلم ربكم أحداً من خلقه؟ فهل حكمته تقتضي أن يترك الناس سُدَى، فلا يُؤمرون ولا ينتظمون بنظام الدين من ربهم الذي خلقهم؟ أليس هو أحكم الحاكين بعدله، فلا يظلم ربكم أحداً من خلقه؟ أليس ربكم بأحكم الحاكمين خلقاً وصنعاً في جميع ما خلق؟ أليس ربكم بأحكم الحاكمين بأحكامه وشرعه وامتنانه، وبيانه لكم؟ وأن إيجادكم بالخلق في أحسن تقويم ليس عبثاً، بل جعل فيكم ما يمكنكم من معرفة الحق والباطل، ثم أنزل عليكم الشريعة التي تنظم حياة الإنسان، وتضبط أحوالكم في دنياكم، حتى تُثَابُون عليها في الآخرة بعدله، فيكون لمن آمن وعمل الصالحات الجنة، ولمن كفر في أسفل سافلين من النار. فالحمد لله تعالى على عظيم بيانه، وكمال إحسانه، وشرعه وتدبيره.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة التين. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢٧٧/٨)